154019 ـ ترجمة مختصرة لأبي إسحاق السبيعي

السؤال

هناك أحاديث يرويها أبو إسحاق الهمداني ، فمن هو أبو إسحاق الهمداني هذا ، وما هي إسهاماته في الأحاديث ، وما صحة أحاديثه ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أبو إسحاق الهمداني هو عمرو بن عبد الله بن ذي يحمد ، المشهور بـ " أبي إسحاق السبيعي " نسبة إلى " سبيع " جده البعيد ، من أكابر حفاظ مدينة الكوفة في العراق ، ومن أعظم علمائها الذين رووا الحديث ، وأفنوا أعمارهم في سبيله .
وهو من الطبقة الوسطى من التابعين ، فقد ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبالتحديد سنة (34 أو 35هـ) فأدرك بذلك كثيرا من الصحابة الحفاظ المكثرين من الرواية ، كابن عباس ، والبراء بن عازب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأسامة بن زيد ، وغيرهم كثير ، حيث بلغ تعدادهم ثمانية وثلاثين صحابيا من شيوخ أبي إسحاق ، بل ورد عنه أنه قال : " رأيت علي بن أبي طالب يخطب "، ولكنه لم يدرك الرواية عنه .
ولا شك أن إدراك هذا العدد من محدثي الصحابة دافع عظيم للاجتهاد في سماع الحديث وروايته والعمل به ، فهم خير القرون ، وسادة الناس ، وأصحاب الأثر العظيم في قلوب طلابهم ومتبعيهم .
لهذا تأثرت شخصية أبي إسحاق السبيعي بأئمة الهدى والدين ، فاجتهد في طلب العلم والأخذ عن الشيوخ ، وكثر شيوخه الذين روى عنهم حتى بلغوا العشرات ، بل قال علي بن المديني رحمه الله : " روى أبو إسحاق عن سبعين رجلا أو ثمانين لم يرو عنهم غيره ، وأحصيت مشيخته نحوا من ثلاث مائة شيخ "، وكان منهم كبار التابعين كعلقمة بن قيس ، ومسروق بن الأجدع ، والضحاك بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل الهمداني ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وعمرو بن ميمون ، وشريح القاضي ، وخلق كثير من كبراء التابعين كما قال الإمام الذهبي رحمه الله .
وأخذ الفقه عن كبار شيوخ مدرسة الكوفة التي اتبعت في منهجها العام الفقه المروي عن عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وبرز أبو إسحاق في حفظه فقهَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حتى كان يقال : " من جالس أبا إسحاق فقد جالس عليا رضي الله عنه ".
قال علي بن المديني رحمه الله : " حفظ العلم على الأمة ستة : فلأهل الكوفة : أبو إسحاق والأعمش ، ولأهل البصرة : قتادة ويحيى بن أبي كثير . ولأهل المدينة : الزهري ، ولأهل مكة عمرو بن دينار " .
فلم يكن أهل العلم يقدمون على أبي إسحاق أحدا من أهل طبقته .

واشتهر أبو إسحاق بالإمامة في الدين ، والتقوى والزهد والعبادة ، فكان يختم القرآن الكريم في كل ثلاثة أيام مرة ، فقد أخذ القرآن عن أبي عبد الرحمن السلمي ، حتى صار إماما في القراءة أيضا ، وهو أكبر شيوخ القارئ المعروف حمزة بن حبيب الزيات ، ولم يشغله العلم عن الجهاد في سبيل الله ، فاشترك في غزو الروم زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، وأخبر عن نفسه أنه اشترك في ست غزوات أو سبع غزوات زمن زياد بن أبيه .

وكان صواما قواما لا ينام من الليل إلا قليلا ، وقد حكى ذلك عن نفسه رحمه الله فقال : " ما أقلت عيني غمضا منذ أربعين سنة "، وحكى ابنه يونس – الحافظ الكبير – عن أبيه أنه كان يقرأ كل ليلة ألف آية .

وأوصى مرة معشر الشباب فقال لهم : " يا معشر الشباب ، اغتنموا – يعني قوَّتكم – قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية ، وإني لأقرأ البقرة في ركعة ، وإني لأصوم الأشهر الحرم ، وثلاثة أيام من كل شهر ، والاثنين والخميس " .

وتحلى بالأخلاق العظيمة ، بالكرم والسماحة والوفاء والمروءة ، فما سُمع يَعيبُ أحدا قط ، ولا يتفاخر على الناس بعلمه ، بل يتواضع ويقول : "وددت أني أنجو من علمي كفافا "

وهكذا عرف بالعبادة والتقوى حتى قال من أدركه في زمانه : " كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرت به الضرب الأول "، يعني الصحابة رضوان الله عليهم .

ومن كان هذا حاله في العلم والعبادة حري أن يكون إمام هدى يقصده طلبة العلم من كل حدب وصوب ، فأخذ عنه أئمة علم الحديث كشعبة وسفيان الثوري – وكانا أوثق أصحابه في الرواية عنه – وكان من تلاميذه أيضا ، منصور ، والأعمش ، وزكريا بن أبي زائدة ، وولده يونس ، وحفيده إسرائيل ، وزائدة بن قدامة ، وجرير بن حازم ، وزهير بن معاوية ، وخلق كثيرون آخرون يشق تعدادهم وحصرهم .

واستمر عطاء أبي إسحاق السبيعي في العلم والعمل على مدى ثلاث وتسعين سنة ، حتى كبر في آخر عمره ، وضعفت قوته ، وابتلي بفقد البصر حتى كان يستعين بأبنائه في هداية الطريق ، ومع ذلك بقي حافظا للحديث ، مثابرا في تعليمه ، ولم يأخذ عليه العلماء اضطرابا أو اختلاطا فاحشا ، وإنما كما قال الإمام الذهبي رحمه الله : " هو ثقة حجة بلا نزاع...كبر وتغير حفظه تغير السن ، ولم يختلط "، وإن كان ذهب بعض أهل العلم أيضا إلى وقوع الاختلاط في حديثه ، لكنه محصور وقليل ، كما أخذ عليه العلماء وقوع التدليس أحيانا عند إسناده بالعنعنة ، حتى سماه الحافظ ابن حجر في "المرتبة الثالثة" في كتاب " مراتب المدلسين " (رقم/91)، ولكن ذلك لا يضعف ما يصرح فيه بالتحديث (حدثنا ، أخبرنا ، سمعت ..) ، لكن يوجب التحري فيما يرويه بصيغة العنعنة (عن فلان) من الأحاديث .

وكانت وفاته سنة (127هـ)، وخرج الناس في جنازته بالمئات ، وألقى الله على جنازته المهابة ، حتى قال أمير الكوفة حين رأى كثرة الخلق المشيعين : " كأن هذا فيهم رباني ".

تنبيه: المعلومات الواردة في هذه الترجمة المختصرة تجدها في كتاب : " سير أعلام النبلاء " (5/392-401)، وكتاب " تهذيب التهذيب " (8/65)

والله أعلم .